آراء المستشرق برنارد لويس في اصل الأسرة الفاطمية والإمامة الإسماعيلية، والمهدوية في كتابه (أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية)
" دراسة تحليلية "

الأستاذ المساعد الدكتورة غنية ياسر كباشي
جامعة بغداد / كلية التربية للعلوم الإنسانية/ ابن رشد/ قسم التاريخ
Dr.GH2007@Yahoo.Com

The views Orientalist Bernard Lewis continued in the Fatimid dynasty and the Ismaili Imamat , and Messianism in the book (and (the assets of the Ismaili Fatimid Qarmati
"Analytical study"

Abstract

The Writings of the orient list Luis about the Fatimid in his book were characterized in shallowness. First; he depended on Others writings of the orient lists in analyzing and discussing many matters without buthering himself to look for the whole truth. Secondly; he didn't depend on the Ismaily writings like the book of AL- Qadee AL-Duaman (dead in 363 A.H.) and who lived during the Fatimid age in Morocco and judged on them that they were of two faces do not say the truth, Although the writings of AL- Qadee AL-Duaman were as arule for AL- Ismaily eluquency, because they were under control of first fatimid Imams.
Also Luis was dependent on most of his writings on AL- Doroz.
But it is very important thing to Know that those groups were not Ismaily, So that emerged in the research in interpreting many thing.
Also, depended on the writings of those resisting Ismaily and Fatimid such as the says of Netham SL-Mulk and Ibn-AL- Razom. in interpreting many facts about them.
The tried on explaining some sheaa Ismaily Concepts such as the doct of (AL-Mahdy AL- Muntathar) and relating their origion to the Christian religion.

المقدمة :

كتاب المستشرق برنارد لويس " أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية " هو موضوع أطروحته للدكتوراه، الذي تناول فيه دراسة الإمامة الإسماعيلية[١] وكل ما يتعلق بها. مركزاً على التداخل الاسماعيلية والفاطمية والقرمطية. وسوف نركز على بحثنا على بعض النقاط المهمة التي تطرق لها المستشرق بكتابه.

برنارد لويس أستاذ فخري بريطاني أمريكي لدراسات الشرق الأوسط في جامعة برينستون، متخصص في تاريخ الإسلام، ولد من أسرة يهودية من طبقة وسطى في لندن ، درس اللغة الآرامية والعبرية والعربية ولغات أخرى حصل على الدكتوراه عام ١٩٣٦م ثم درس بجامعة باريس قسم الدراسات العليا وحصل على دبلوم في الدراسات السامية سنة ١٩٣٧م ، اتسمت آراءه تجاه العرب بالسلبية وعزى تأخرهم عن أوروبا لأسباب ثقافية ودينية .

أولاً: أصول السلالة الفاطمية :

بحث المستشرق برنارد لويس في كتابه أصل الفاطميين بعد أن قرأ وحلل، وخرج بخلاصة مفادها ان السلالة الفاطمية بعد فاجعة كربلاء سنة (٦٠ه/ ٦٧٩م) أصبحت في حالة من الهمود المؤقت لفقدان الداعاة البالغين [٢].

وأول الآراء التي تطرق لها المستشرق في كتابه السابق الذكر،والتي سنبدأ بمناقشتها، هي فكرة قدم تاريخ ظهور الإسماعيلية، فقد ذكر أن الفاطميين كانوا على مسرح الإحداث قبل ذلك التاريخ لكنهم همدوا بعد فاجعة كربلاء . في الواقع لم يكن للفاطميين ظهور علني أو معروف

---

(١) الإسماعيلية : سمُ بذلك نسبة الى إمامهم السابع إسماعيل الابن الأكبر للإمام جعفر الصادق جد الخلفاء الفاطميين في مصر .لمزيد من المعلومات عنهم ينظر : البخاري، ابو نصر سهل بن داود بن سلمان بن ابان بن عبدالله(ت ٣٤١ه) سر السلسلة العلوية، تح :محمد بحر العلوم، (النجف الاشرف : المطبعة الحيدرية، ١٩٦٢م)،ص ٣٤. ؛ الكشي، ابوجعفر محمد بن حسين الطوسي، رجال الكشي، تح : حسن المصطفوي، (إيران، د. ت)، ج ٦، ص ٤٤٨ -٤٤٩.

(٢) لوس، برناد، أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية، ط٣، (بيروت : دار الحداثة للطباعة والنشر، ١٩٩٣،)، ص٦٧ . هذه الرأي الذي طرحه وهو من بنات أفكاره، ولم يرجع إلى آية مصادر عربية أو أجنبية لكي يتوصل من خلالها إلى هذا الرأي .

آنذاك كما تذكر المصادر الإسماعيلية الفاطمية[٣] ، فضلاً عن كون الإسماعيلية لم تظهر الأبعد وفاة الإمام جعفر الصادق سنة (١٤٨/ ٧٦٥م) .

لو صح اعتقاد المستشرق لويس بعدم وجود دعاة قادرين، فأنه يغالط نفسه مرة أخرى، ذلك ان الإسماعيلية تميزوا وانفردوا عن باقي الدعوات الدينية في العالم الإسلامي آنذاك، بأن لهم تنظيم دقيقا ومترابطا.

فلو نظرنا الى الدعاة، نرى أنهم كانوا مرتبين على شكل هرمي يتألف من عدة درجات كل درجة تمثل مرحلة في نظام الدعوة والتي يكون على رأسها الإمام الذي لا يعرفه إلا المقربين له، ويطلق عليه الإمام المستور. ثم يأتي بعده في سلم الدعوة داعي الدعاة الذي يكون اتصاله مباشر بالإمام أذا يبحث معه أمور الدعوة في كل إرجاء العالم الإسلامي. ذلك أن الاسماعيلية قسموا العالم الإسلامي إلى جزائر عديدة على كل واحدة منها داعي يكون اتصاله المباشر بداعي الدعاة الذي هو على اتصال مباشر بإمام الدعوة في وقته، فضلاً عن ذلك، لم يكن اختيار الدعاة يتم عشوائياً، بل كانت هناك مجموعة من الصفات والشروط الواجب توفرها بالداعي، بعد ان يخضع لعدد من الاختبارات التي عليه اجتياز ثمانية منها على الأقل، كما يجب عليه ان يلم بالمذاهب الإسلامية كلها، ولاسيما مذهب أهل البيت أضافة لتضلعه بعلم الفقه واللغة ... [٤]

ثم يخلط لويس بين إتباع الإمام محمد الباقر أو كما يسميه الإمام الخامس للفاطميين، والفرقة المنصورية[*]، صحيح ان محمد الباقر هو الإمام الخامس للفاطميين لكن ذلك لايعني ان يعتبر لويس إتباع ابي منصور العجلي الذي دعا الى إمامة الباقر هم فاطميين، كما يصرح

---

(٣) للمزيد من المعلومات يُنظر: القاضي النعمان، أبو حنيفة، النعمان بن محمد بن منصور(ت٣٦٣ه)، رسالة افتتاح الدعوة، تح : وداد القاضي، (بيروت : دار الثقافة، ١٩٧٠). حيث يبدأ بالحديث عن تاريخ ظهور الفاطميين بالمغرب، ص٣٢ وما بعدها.

(٤) للمزيد من المعلومات عن ذلك التنظيم، يُنظر : الكرمالي، احمد حميد الدين (ت ٤١١ه)، راحة العقل، تح: د. محمد كامل حسين وآخرون، (القاهرة:دار الفكر العربي، ١٩٥٢)، ص٢٥ وما بعدها ؛ الوليد، علي بن محمد (ت٦١٢ه)، منتخبات إسماعيلية، (د.م:د.ت)، ص١١٢-١١٥؛ مؤلف مجهول، رسالة الاسم الأعظم، تصحيح: شترت مان، (المجمع العلمي : فوتنيفن)، (بغداد : مطبعة المثنى، د.ت)، ص١٧٢ وما بعدها.

(*) المنصورية : وهم أتباع ابي منصور العجلي الذي أدعا ان الله عز وجل عرج به إلى السماء فادنا منه وكلمه ومسح يده على راسه وقال له انه نبي الله، وكان أصله من أهل الكوفة من عبد القيس وله فيها دار وكان منشاة البادية، ولايعرف القراءة فادعى بعد وفاة الامام ابي جعفر محمد ابن علي بن الحسين انه فوض اليه الامر وجعله وصيه من بعده .النوبختي، فرق الشيعة ص٥٤. لويس، أصول، ص٦٧ .

لويس ذلك قائلاً " كثر إتباع السلالة الفاطمية كثرة هائلة وتشعبت منهم فرقة هامة واحدة على الأقل هم المنصورية ....." [٥]

لكن إذا ما رجعنا إلى حقيقة هذه الجماعة في مصادرنا الإسلامية نرى بأن جميعها تنص على أنهم أصحاب أبو منصور العجلي الذي عزى نفسه للإمام الباقر فتبرأ منه الإمام وطرده، وبعد وفاة الإمام ادعى بأن الإمامة انتقلت له، وانه عرج الى السماء [٦].

لا يعرف لماذا نسب لويس المنصورية إلى الإسماعيلية او الفاطميين علما بأن الإسماعيلية اعتقدوا بإمامة إسماعيل ولكنهم اختلفوا بوفاته، اما الشق الاخر من الفكرة الأنفة الذكر الاعلى المتعلقة بكثرة اتباع السلالة الفاطمية وانبثاق عدد من الفرق منها والتي برز منها فقط فرقة المنصورية . كان من الأجدر به ان يتبع السلالة الفاطمية الكثيرة التي أشار لها سابقاً ولو بصورة مختصرة لكي يقنع القارى بذلك، علماً بان الانقسام الذي حصل في الطائفة الإسماعيلية جعلها تتفرع إلى عدة فروع وهي :

١. **الإسماعيلية الخالصة:** وهم الذين أنكروا موت إسماعيل الإمام في حياة ابيه وقالوا ان ذلك كان على وجه التقية من قبل الإمام جعفر الصادق خوفاً على الإمام إسماعيل من العباسيين الذين كانوا يتربصون الفرص للانقلاب على أي إمام علوي، لذلك اعتقدت هذه الفرقة بأن اسماعيل الإمام لم يمت حتى يملك الأرض، وهو الإمام القائم عندهم [٧].

٢. **المباركية:** وهم الذين اقروا بموت إسماعيل وزعموا انه الإمام بعد جعفر الصادق، لأن أمر الإمام كان لإسماعيل في زمن والده، فلما توفي إسماعيل في زمن الإمام والده جعفر الصادق، جعل الإمامة في ولده محمد، لأن الإمامة لا تكون إلا في

---

[٥] لويس ،أصول، ص ٦٧ ما بعدها.

[٦] الدينوري، قتيبة (ت ٢٧١ه)، عيون الإخبار، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣)، ج٢، ص١٦٣؛ البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت٤٢٩ه) الفرق بين الفرق، تح: الشيخ ابراهيم رمضان، (بيروت: دار الفتوة، ١٩٩٤)، ص٢٠٧؛ ابن الأثير، عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم (ت٦٣٠ه)، اللباب في تهذيب الأنساب، (بيروت: دار صادر، د.ت)، ج١، ص٣٨١ .

[٧] النوبختي، ، فرق الشيعة، ص٧٩؛ البغدادي، عبدالقاهر بن طاهر بن محمد (ت٤٢٩)، الفرق بين الفرق، (بيروت : دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥)، ص٤٦-٤٧. ولم يشير كلاهما إلى سبب تسميتهم بالخالصة .

الإعقاب، ومنهم من قال ان الذي نص على إمامة محمد هو أبوه إسماعيل وليس جده الإمام جعفر الصادق، وسموا بذلك نسبة لرئيس لهم اسمه مبارك[٨] .

٣. **القرامطة**[*] : نسبة إلى رئيس لهم يسمى حمدان قرمط، وهم كانوا في الأصل من المباركية ثم خالفوهم في العقيدة [٩] .

لكننا نجد رواية أخرى ينفرد بها الداعي الإسماعيلي إدريس [١٠]، حيث يذكر في أصل القرامطة قائلاً : بأن هناك رجل كان يخدم الإمام الإسماعيلي المستور في مرحلة الستر، كان له ولدان ... وعندما توفي الرجل في عهد الإمام، طلب أولاده وهم اثنان ان يأخذا مكان أبيهما في خدمة الإمام، لكن الإمام رفض ذلك، وبسبب ذلك خرجا عن مسار الدعوة وطاعة الإمام الإسماعيلي المستور آنذاك ففارقا الدعوة الإسماعيلية ودخلا في دعوة القرامطة وهي دعوة جديدة منفصلة عن الدعوة الإسماعيلية .

نستطيع القول هنا ان انشقاقا قد حصل حين انفرد هؤلاء في دعوة جديدة خرجت بمسارها عن الخط الإسماعيلي، وربما قد التقيا بشخص اسمه قرمط الذي اخذ على عاتقه نشر الدعوة الجديدة المنسلخة من الإسماعيلية التي تحدث عنها فيما بعد المؤرخ المسعودي[١١] .

---

٨ الطوسي، نصير الدين (ت ٤٧٢ه)، قواعد العقائد، تحقيق: علي الرباني، (طهران: مطبعة أمير، ١٤١٦ه)، ص١١٥؛ النوبختي، فرق الشيعة، ص٧٩ وما بعدها؛ ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧ه) ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر وآخرون، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢)، ج١٢، ص٤٢١.

(*) هو لقب رجل بسواد الكوفة لقب بذلك لخطوة في مشيته ظهر في الكوفة سنة (٢٦٤ه)، ثم انتقلت دعوته لباقي الجزيرة العربية، ابن قرة الصابي، ثابت بن سنان (ت ٣٦٥ه)، تاريخ أخبار القرامطة، تح: سهيل زكار، (د.ت، د. م)، ص٦؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله (ت ٧٤٨ه)، سير إعلام النبلاء، تح: شعيب الارناؤوط وآخرون، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣م)، ج١٥، ص٣٢٠ .

(٩) الأصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد بن حامد، تاريخ دولة آل سلجوق، انتصار الشيخ بن علي بن محمد، (مصر: مطبعة الموسوعات، ١٩٠٠م)، ص٦٥ .

(١٠) أدريس : عماد الدين (ت٨٧٢ه)، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، القسم الخاص من كتاب عيون الإخبار، تحقيق: محمد البعلاوي، (بيروت:دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٥)، ص١٤٥.وهو الداعي الفاطمي التاسع عشر، وقد شهده عصره التمهيد لنقل مقر الدعوة الفاطمية الطيبية من اليمن إلى الهند سنة (٩٤٦ه /١٥٣٩م) . الخربوطلي، علي حسني، عماد الدين إدريس الداعي والمؤرخ الفاطمي، (القاهرة : د. ت)، ص ٦٨ ما بعدها .

(١١) ابو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦ه)، مروج الذهب، ومعادن الجوهر، تحقيق : سعيد اللحام، (بيروت : دار الفكر، ٢٠٠٠م)، ج٤، ص٢٦٣ .

ثم يناقش المستشرق لويس في محور أخر الصلة بين الخطابية(*) والإسماعيلية، محاولة منه لمعرفة صحة ذلك من خلال استعراضه لبعض المصادر. وقد أشار لويس لبعض تلك المصادر، مثل كتاب الكشي " منهاج المقال "، وكتاب الشهرستاني "الملل والنحل ". ويعد المستشرق لويس ما كتبه النوبختي حول الخطابية هو أغنى البحوث عن إعمال أبي الخطاب وأوثقها(١٢) .

وبعد نهاية بحثه يتوصل الى انه قد تكون هناك صلة بين الطرفين قائلا: " يحسن بنا في هذا المقام ان نتساءل عما يمكن ان نجده من الإشارات في كتابات الإسماعيلية الى ابن الخطاب والخطابية ولكننا في تساؤلنا هذا غير موفقين اذ جميع المصادر الإسماعيلية المتيسرة لدينا تقريبا ترجع إلى عصر نجاح الدعوة وتأسيس دولتها عندما كان المدافعون عن هذه الفرقة معنيين بإنكار العلاقة بينهم وبين رجال ساءت سمعتهم كأبي الخطاب ... " (١٣) .

لا نعلم لماذا لا يعتبر لويس عدم وجود الإشارة بين الطرفين في كتب الإسماعيلية أو إنكارهم وجود مثل هذه العلاقة دليلاً على نفي هذه العلاقة بالمصادر الإسماعيلية.

ثم يناقش لويس مرة أخرى قول الداعي الفاطمي القاضي النعمان المتوفي سنة(٣٦٣هـ- ٩٧٤م) في كتابه " دعائم الإسلام " باعتبار الخطابية من الفرق المارقة، ويُعد لويس ذلك الدعاء ظاهر لعموم الناس، لذلك لايعول عليه كثيرا في بحثه (١٤).

كلام لويس السابق يجعل من كتابات القاضي النعمان غير صادقة وهي ذو وجهين، ظاهر يقرأ لعامة الناس، ووجه أخر خاص برجال الدعوة علماً بأن كتاب " دعائم الإسلام " للقاضي النعمان (ت ٣٦٣هـ-٩٧٤م)، هو من أهم الكتب الفقهية الإسماعيلية، الى الحد الذي جعل الخليفة الفاطمي المعز لدين الله (٣٤١ -٣٦٥هـ ٩٥٢ - ٩٧٥م) يشترط على القاضي أبا طاهر الذهلي(١٥)، ان يحكم بفقه أهل البيت المدون في كتاب القاضي النعمان " دعائم الإسلام

(*) الخطابية: نسبة إلى محمد بن مقلاص الاسدي، من الغلاة ظهر بالكوفة، فدعا إلى إلوهية الإمام الصادق، ثم دعا إلى تأليه نفسه، ولما بلغ أمره إلى الإمام الصادق خاف فتنته، وأمر شيعته بالابتعاد عنه والبراءة منه، فدعا الإمام عليه قائلا : " اللهم العن أبا الخطاب فاته أخافني قائما وقاعدا وعلى فراشي، اللهم أذقه حر الحديد ". النوبختي، فرق الشيعة، ص ٨٠ وما بعدها؛ الشهرستاني الملل والنحل، ج١، ص ٢١٠ .

(١٢) لويس، أصول، ٧٢ .

(١٣) لويس، أصول، ص٧٤ .

(١٤) لويس، أصول، ص٧٥ .

(١٥) أبا طاهر الذهلي محمد بن احمد بن عبد الله بن نصر البغدادي، قاضي مصر عند دخول الفاطميين لها وبقي في القضاء حتى مرض، وكانت مدة قضائه ستة عشر سنة .

"، وكذالك فعل الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦- ٤١١ه/ ٩٦٦-١٠٢٠م) من جانب أخر[١٦]، فضلاً عن كون القاضي النعمان ت(٣٦٣ ه / ٩٧٤م) ألف كتابه بأشراف الخليفة الفاطمي المعز لدين الله، لذلك حرص أكثر الخلفاء على قراءة هذا الكتاب في مجالس الحكمة، ففي عهد الخليفة الفاطمي ظاهر لإعزاز دين الله (٤١١-٤٢٧ه/١٠٢٠-١٠٣٥م)، أمر الدعاة ان يحفظوا الناس هذا الكتاب، وفرض لمن يحفظه مالاً[١٧] .

عطفا على ذلك، فان كتاب القاضي النعمان يعتبر من لدن الباحثين الموضوعين من أهم كتب الفاطمية الاسماعيلية وأكثرها مصداقية، ويمكن الركون لمعلوماته لدقتها وصحتها وذلك لمعاصرة صاحبها للدولة الفاطمية، وعمل كقاضي وفقيه لهم ومن بعده أفراد أسرته[١٨] .

ثانياً: مفهوم الإمامة :

لقد أعتمد المستشرق لويس في تفسيره الإمامة الاسماعيلية على العديد من المصادر المعادية او الغير اسماعيلية أبرزها :

١- المصادر الدرزية :

من الأخطاء الأخرى التي وقع بها المستشرق لويس اعتماده على مصادر مع ادية للإسماعيلية، لاسيما في تفسيره لمفهوم الإمامة منها مصادر الدروز، حيث يذكر قائلا: " حمزة يذكر في رسالته .... بأن استخلاف الأئمة والحجج يعتمد على مبدأ الأبوة

وعشرة أشهر. الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت٧٦٤ه)، الوافي بالوفيات، تح: احمد الارناؤوط وتركي مصطفى، (بيروت: دار إحياء التراث، ٢٠٠٦م)، ج٢، ص٣٤؛ الذهبي، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد (ت٧٤٨ه)، بدائع الإسلام، تح:عمر عبد السلام، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٧)، ج٢٦، ص٣٧٩.

(١٦) المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (ت٨٤٥ه)، اتعاظ الحنفاء في اخبار الائمة الفاطميين الخلفاء، تح: جمال الدين شيال، (القاهرة :١٩٩٦) ،ج٢، ص٨٥ وما بعدها.

(١٧) المقريزي، م،ن، ج٢، ص٨٥ وما بعدها .

(١٨) للمزيد من المعلومات عن ذلك يُنظر: الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف المصري (ت ٣٥٠ه)، كتاب الولاة وكتاب القضاة، صححه، (بيروت: مطبعة الإباء، ١٠٩٨م)، ص٧٠-٧١؛ الحلي، ابن أدريس (ت ٥٩٨ه)، السرائر ، (طهران: ١٤١٠ه)، ج١، ص١٤؛ ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١ه)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: د. أحجسان عباس، (بيروت: دار صادر، د. ت)، ج٢، ص١٦٦-١٦٧ .

الروحانية وليس على الأبوة الجسمانية ..." [١٩] .لقد أشار المستشرق لويس إلى وجود مثل هذه الافكار في كتب الاسماعيلية المختلفة، لكنه لم يشير إلى واحد من هذه الكتب على الاقل.

ان اعتماده هذا على مصادر معادية للإسماعيلية ليجعلها مصدراً لمعلوماته حول مفهوم الإمامة مع اعترافه بأن الدروز لم يكونوا إسماعيلية [٢٠]، أمر بعيد عن الموضوعية فهو هنا يفسر مفهوم الإمامة وفقا لما وجدوه في المصادر الدرزية التي كتبها الداعي الدرزي حمزة بن علي [٢١] .

يبدأ لويس بتفسير مفهوم الإمام المستقر[٢٢] والإمام المستودع [٢٣]، وفقاً لما وجده في المصدر الدرزي قائلا : " تذكر كتابات الدروز شيعة أئمة من إسماعيل إلى عبدالله المهدي وتصف بعضهم بأنهم من ولد ميمون القداح[*] .. "[٢٤].

---

[١٩] لويس، أصول، ص٩١.الابوة الروحانية هي أشبه ماتكون بالعلاقة القائمة بين المعلم والتلميذ في عملية التعليم حيث يحاول المعلم احاطة التلميذ بكل مايحتاجه من علم ومال وغير ذلك، ووجدت هذه العلاقة في التعليم الاسماعيلي. لمزيد عن ذلك ينظر :هالم ، هاينز،الفاطميون وتقاليدهم في التعليم، تعريب : سيف الدين القصير، (سوريا :دار المدى للثقافة والنشر، ١٩٩٩م)، ص ٣٧ومابعدها ؛ دفتري، فرهاد، الاسماعيليون تاريخهم وعقائدهم، ترجمة : سيف الدين القصير، (معهد الدراسات الاسماعيلية : دار الساقي، ٢٠١٢) وص ١٨٢ومابعدها .اما الابوة الجسمانية هي أسا

[٢٠] لويس، أصول، ص ٨٨ .

[٢١] حمزة بن علي : وهو حمزة الفارسي أصله من بلاد فارس زار القاهرة عام (٤٠٥هـ- / ١٠١٤م) عمل على بث دعوته منذ مجيئه للقاهرة عاصمة الخلافة الفاطمية في مصر، فقد عمل سراً على نشر دعوته حتى أواخر عام (٤٠٧هـ/ ١٠١٦م) فقد لقب بهادي المستجيبين . للمزيد من المعلومات عن حركة الدروز وتطورها، يُنظر : الحدراوي ،وسيم عبود، الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١٦هـ/٩٩٦-١٠٢٠م)، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الكوفة، ٢٠٠٤) ،ص٥٥ وما بعدها، حيث فصل هذه الحركة وموقف الخليفة الفاطمي الحكم بامر الله منها .

[٢٢] الإمام المستقر : هو الإمام صاحب الحق الشرعي في توريث الإمامة من بعده لولده وذلك من موجب نص على للإمام الذي يأتي بعده، او هو الإمام المستلم لشؤون الإمامة بعد الإمام الناطق مباشرةً والقائم، أي الإمام المهدي في عقيدتهم . الوليد، علي بن محمد (٦١٢هـ)، رسالة الإيضاح والتبيين في كيفية تسلسل ولادتي الجسم والدين، اربع كتب إسماعيلية، تحقيق : شترطمان، (ميلانو، د.ت)، ص٢٧٥؛ السبحاني، جعفر، المذاهب الاسلامية – الملل والنحل، (بيروت: مؤسسية التاريخ العربي، ٢٠٠٤)، ص٢٨٠ .

[٢٣] الإمام المستودع : هو الإمام الذي لا يستطيع توريث الإمامة لاحد من ولده حيث يتسلم الإمامة في الظروف الاستثنائية، فهوة الذي يقوم بمهمات الإمامة نيابة عن الإمام المستقر. السبحاني، المذاهب الإسلامية، ص٢٨٠ . وللمزيد من المعلومات عن ذلك يُنظر: الوليد، علي بن محمد (ت ٦١٢هـ)، تاج العقائد ومعادن الفوائد، ط٢، تح: عارف حارث، (بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٩٨٢)، ص١٦٥ وما بعدها .

ووفقًا لذلك القول يعتقد المستشرق لويس بأن الأئمة المستقرين هم الأئمة العلويين الدائمون والأئمة القداحين، ويضيف المستشرق لويس قائلا : " تبين الكتابات الدرزية بجلاء أن المهدي نفسه من الجماعة الثانية " [٢٥]، وذلك يعني بان الأئمة أصلهم من الدائمون والقداحون .

من المستغرب اعتماد لويس على هذا النص الوارد في المخطوط. فالمصادر التاريخية الاسماعيلية والفاطمية . تذكر نقيض هذا القول بتأكيدها على أن تكون الامامة بالوراثة من الاب إلى الابن .

فإذا عدنا إلى بحث المستشرق لويس حول معرفة أصل الخليفة الفاطمي الأول عبد الله[٢٦] ومدى صحة انتسابه للبيت العلوي، نراه يعتمد على ما قاله المستشرق دوساسي من أن حمزة رئيس فرقة الدروز في حديثه عن المهدي الذي يسميه سعيد بن أحمد[٢٧] ... ، ثم يضيف المستشرق لويس قائلا : " تفهم من تعليقه بين سطور المخطوطة أن هذا الشيء المودع هو مقام الإمامة، ولست أملك النص العربي لهذه العبارة ولكن يظهر لي أن جملته الفرنسية (une ehose deposee) يجب أن تكون " وديعة "[٢٨].

أن النقطة المهمة هنا تتمحور حول اعتماد المستشرق لويس على كتاب مستشرق أخر هو (دي ساسي) في تفسيره للإمامة، دون ان يمتلك هو المصدر نفسه، لكي يكون أكثر دقة في إصدار أحكامه، لذلك كان من الأجدر على المستشرق لويس ان يبحث بنفسه عن

(*) ميمون القداح: لقب بذلك لأنه كان يعالج العيون ويقدحها، وكان عبد الله بن ميمون من أصحاب الإمام جعفر الصادق ومن فقهاء الشيعة . الطوسي، أبو جعفر بن الحسين (ت ٤٦٠ه)، رجال الطوسي، تح: جواد الفيومي، (إيران: مؤسسة آل البيت، ١٤١٥ه)، ص٢٣١؛ النوري، الطبرسي (ت ١٣٢٠ ه)، مكارم الاخلاق، (إيران: منشورات الرضي، ١٩٧٢م)، ص٩٣ .

(٢٤) لويس، أصول، ص٩٧.

(٢٥) لويس، أصول، ص٩٧.القاضي النعمان المجالس والمسيرات، ص ١٧٦ومابعدها ؛ القاصي النعمان، دعائم الإسلام، تح : أصف علي أصغر فيصي ،(بيروت : دار الأضواء، ١٩٩٩م)، ص ٢٣ومابعدها .

(٢٦) عبد الله : هو الخليفة الفاطمي الاول والقائم وهو عبد الله بن محمد ويسمى عندهم عبد الله بن جعفر جد إسماعيل بن جعفر الصادق وذلك يعني ان المهدي اسمه محمد بن إسماعيل بن محمد من ولد عبد الله الذي تسمى بإسماعيل . الداعي جعفر الكوفي، جعفر بن ابي القاسم، الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان الكوفي (ت٣٨٠ه)، الفرائض وحدود الدين، تقديم : حسن الهمداني، (القاهرة : ١٩٥٨)، ص٩-١٠.

(٢٧) لويس، أصول، ص٩٨.

(٢٨) لويس، أصول، ص٩٧ .

أصول الإمامة ومصادرها لكي يكون أكثر اقناعاً للقارى بدلاً من الاعتماد على أقوال المستشرقين الآخرين .

هنا نرى لزاما علينا أن نوضح فكرة الإمامة عند الإسماعيلية، فالإمامة عند الإسماعيلية ولاسيما الفاطميين هي المحور الأساسي الذي يدور عليه مبدأ الوراثة عن النبي (ﷺ) وراثة الإمامة ليعطي لهذه المرتبة تلك القدسية الموجودة لدى فرق الشيعة عامة وليس فقط الإسماعيلية، وهذه الوراثة تقوم على أساس، وراثة النبي ومن بعده الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ثم أولاده من بعده، ثم الخلفاء الفاطميين الوارثين لهذه المرتبة[٢٩] .

من هنا فأن الإمامة الفاطمية هي خلافة دينية تقوم على أساس هذه الوراثة، أذن ليس هناك شرعية للإمامة والحق المطلق في ذلك إلا في ضوء صحة الانتساب الى الإمام علي (عليه السلام) وفاطمة الزهراء (عليها السلام) .

هذا المفهوم الموجود عند الإسماعيلين والخلفاء الفاطميين باعتبارهم إسماعيلي المذهب لايتفق مع ما ذكره المستشرق لويس من مفهوم الابوة الروحانية أو الأبوة الجسمانية، لأن الإسماعيلية يعتقدون بالأبوة الجسمانية هي أساس الإمامة، وهذا يعني أن يكون الإمام من نسل الإمام علي (عليه السلام) لكي يكسب هذه المرتبة، ولا يكفي الأبوة الروحانية، لذلك نرى الخلفاء الفاطميين أصحاب المذهب الإسماعيلي يؤكدون دائما على صحة انتسابهم للبيت العلوي[٣٠].

لذلك نرى الفاطميين يفضلون لقب الإمام علي لقب خليفة، لان خليفة لها معنى النيابة بعد الرسول (ﷺ)، أما الإمام فلا تعني فقط المجيء بعد الرسول (ﷺ) بل تدل كذلك على السلطان الديني المكتسب من الرسول (ﷺ)، وهذا ما جسده قول الإمام أو الخليفة الفاطمي

---

(٢٩) لمزيد من المعلومات عن هذه الرتبة عند الإسماعيلية ينظر : القاضي النعمان، الهمة في آداب أتباع الأئمة، تح : مصطفى غالب، (بيروت : دار المكتبة الهلال، ١٩٨٥)، ص ٢٢ومابعدها ؛ الداعي إدريس، عماد الدين القرشي (ت ٧٨٢ه)، زهرة المعاني ، تح: مصطفى غالب، (بيروت : المؤسسة الجامعية للدارسات والنشر، ١٩٩١م)، ص ١٠١-١٠٢ .

(٣٠) لويس، أصول، ص٩١.الأبوة الروحانية هي أشبه ما تكون بالعلاقة القائمة بين المعلم والتلميذ في عملية التعليم حيث يحاول المعلم إحاطة التلميذ بكل مايحتاجه من علم ومال وغير ذلك ، ووجدت هذه العلاقة في التعليم الاسماعيلي. لمزيد عن ذلك ينظر :هالم ،هاينز،الفاطميون وتقاليدهم في التعليم ، تعريب : سيف الدين القصير، (سوريا: دار المدى للثقافة والنشر، ١٩٩٩م) ، ص ٣٧ومابعدها ؛ دفتري ، فرهاد ، الاسماعيليون تاريخهم وعقائدهم، ترجمة : سيف الدين القصير ، (معهد الدراسات الإسماعيلية : دار الساقي، ٢٠١٢) وص ١٨٢ومابعدها. أما الأبوة الجسمانية هي أساس الإمامة الفاطمية والتي ستتضح لنا من خلال البحث .

المنصور بالله الثالث (٣٣٤- ٣٤١ /٩٤٥- ٩٥٢م) عند مخاطبته لولده لمعز لدين الله الفاطمي (٣٤١- ٣٦٥هـ/ ٩٥٢- ٩٧٥م) قائلا : "والله ما أنا إثرك ... بل الله أثرك وأختصك "[٣١]

خلاصة القول، يجب على الباحث أن يعتمد على مصادر الفرقة التي يدرسها نفسها، وليس على حركة ظهرت في زمن الخلفاء الحاكمين في مصر أصحاب المذهب الإسماعيلي كما وضحنا سابقاً .

فالإمام الفاطمي الإسماعيلي والخليفة الثالث المنصور بالله يخاطب ولده الخليفة الإمام المعز لدين الله قائلاً : " .. فأما خولني الله من الكرامة وأصطفاني به هو متاع عندي ... إلى انقضاء المدة وتمام العدة ثم هو لك بحكم الله وأمره ..."[٣٢].

نظرة الى القول السابق يؤكد لنا أساس الإمامة هو الأبوة الجسمانية وليس الأبوة الروحانية، يعني ذلك ان يكون تسلسل الإمامة في البيت العلوي حصراً .

ويتوصل المستشرق لويس في نهاية محوره الى أن هناك فرعين لنسب الأئمة أحدهما العلويين المستقرون وثانيهما القداحون المستودعون وذلك خلال عهد الغيبة المبتدى بمحمد بن إسماعيل والمنتهي بظهور القائم الخليفة الفاطمي الشرعي الأول[٣٣].

وهو بأستنتاجه هذا أعتمد على المصادر الدرزية التي هي ليست إسماعيلية في العقيدة وإنما ظهروا في خلافة الفاطميين الإسماعيلين، فضلا عن كون هذا الاستنتاج لايتفق مع ما ذكرناه عن مفهوم الإمامة عند الخلفاء الفاطميين ذو المذهب الإسماعيلي وليس الدرزي .

من ناحية أخرى يؤكد اعتماده على كتابات بعض الفرق المعادية للاسماعيلية التي ظهرت في أبان حكم الخلافة الفاطمية بمصر، وهي الحركة الدرزية وذلك بقوله " نستطيع ان نجمع معلومات وافية من كتب المجاميع التي لم تكن إسماعيلية حقا فأنها ذات علاقة قريبة بها وأشهر هذه المجاميع .... كتابات الدروز الدينية التي تمثل نهجا إسماعيليا قديما خالصا نوعاً ما، اقل تحفظاً من الكتابات الفاطمية الرسمية لكونها فرقة سرية ..." [٣٤] .

هنا تظهر الازدواجية في فكر المستشرق لويس، فهو أولا لايعتقد بإسماعيلية هذه الحركة، لكنه من باب أخر يعتبرها نهجا إسماعيليا قديما نوعاً ما .

---

(٣١) القاضي النعمان، محمد بن منصور، بن احمد (ت٣٦٣هـ)، المجالس والمسايرات، تحقيق: الحبيب الفقي وآخرون، (تونس : المطبعة الرسمية بتونس، د.ت)، ص١٧ .

(٣٢) القاضي النعمان، المجالس، ص١٧٦ .

(٣٣) لويس، أصول، ص٩٩ .

(٣٤) لويس، أصول، ص٥١.

فكما هو واضح من المصادر التاريخية التي تناولت تاريخ الإسماعيلية والدروز على حد سواء أو من خلال ماموجود في مجموعة رسائل الدروز المتوفرة لدينا، نعتقد ان الصلة القريبة بين الطرفين هو فقط وقت ظهور هذه الحركة في زمن خلافة الفاطميين ذات المذهب الإسماعيلي في مصر سنة (٤٠٧ه/ ١٠١٦م).

٢- تاريخ ثابت بن سنان (ت ٣٦٥ه/ ٩٧٤م) :

ونرى لويس في موضع أخر من الكتاب، يشير الى حصوله على قسم من تاريخ مفقود لثابت بن سنان الصابي المتوفي عام (٣٦٥ه-٩٧٤م)، حفيد الطبيب المشهور ثابت بن قرة، حيث يشير الى ذلك قائلا : " وقد أسعفني الحظ في إثناء زيارتي القاهرة فحصلت على مخطوط يظهر انه قسم من تاريخ مفقود لثابت بن سنان الصابي المتوفي سنة (٣٦٥ ه / ٩٧٤م) ....اكتفي هنا بأن اذكر بأنه كتب في سنة (١٠٥٧ه- ١٨٨١م) منقولة عن نسخة المؤلف نفسه، ولا اجد سبباً مقبولا للشك في صحة هذا المخطوط "[٣٥] ثم يشير ان هذا المخطوط، باحتوائه معلومات عن تاريخ القرامطة في البحرين وسوريا والعراق منذ نشأتهم حتى سنة وفاته.

والمهم هنا هو أن المستشرق لويس يعتبر أن ثابت بن سنان يمثل مرحلة من المعلومات ارقى من مرحلة الطبري، لكنه لايذكر شيئا عن عقيدتهم، أوعن تاريخ الفرقة في دورها الأول قبل طورها العلني[٣٦] .

ثم نراه يشير الى أن هذا المخطوط " لم يذكر اسم أبي الخطاب وميمون وابنه عبد الله ولم يغامره شك في نسب عبيد الله (المهدي) الذي يشير إليه دائمًا بالفاطمي العلوي " [٣٧].

و يختم حديثه مبرراً السبب الذي جعله يعتبر كتاب ثابت بن سنان في زمرة المصادر السنية قائلا: " ان المؤلف واسرته من الصابئة يترسم وجهة نظر السنة تماما ولا يمكن ان نميزه منهم سواء في رجوعه الى المصادر او في طريقته في البحث، والتتبع .... فلا يمكن فصله عن مخلفات السنة التاريخية " [٣٨].

أن قراءة ما كتبه المستشرق لويس عن هذا المخطوط تشير الى اعترافه بأهمية هذا المخطوط كمصدر يثبت النسب الفاطمي للبيت العلوي، وكان من الأجدر به الرجوع إليه في

---

(٣٥) م. ن، ص٣٤.
(٣٦) م. ن، ص٣٦.
(٣٧) لويس، أصول ، ص٣٦ .
(٣٨) م. ن، ص٣٦.

تثبيت أصول السلالة الفاطمية للعلويين كغيره من المصادر السنية التي ناقشها في هذا الصدد، لاسيما انه يعترف اولاً بمصداقيتة هذا المصدر، كل من المؤرخين مسكوية (ت٤٢١ه / ١٠٣٠م) وابن الأثير(ت٦٣٠ه/ ١٢٣٢م)، كما أشار المستشرق لويس الى ذلك قائلا : " ... ويتبع مسكويه ابن الأثير كلاهما كتاب ثابت هذا، ويظهر انه مصدرهما المعتمد عن هذه الفترة "[٣٩].

أما ثانيًا، فالمستشرق لويس ، يذكر بأن ثابت تناول بتاريخه القرامطة منذ نشوء دولتهم حتى سنة وفاته، ثم تفصيلة الحروب بين الخليفة الفاطمي المعز والقرامطة خصوصاً. ونحن نرى في ذلك دليلا على انفصال الفاطميين عن القرامطة، وفي ذلك رد على من يقول بعلاقة الفاطميين بالقرامطة، لاسيما بعد الانفصال العقائدي الذي حصل عند إعلان الخليفة الفاطمي الأول عبد الله المهدي دولته بالمغرب عام (٢٩٧ه/٩٠٩م) فكما هو معروف لدى الباحثين والمؤرخون انه بعد وفاة الإمام جعفر الصادق سنة (١٤٨ه – ٧٦٥م)، افترقت شيعته إلى عدة فرق منها المباركية التي انقسمت بعد وفاة محمد بن إسماعيل وأكثرهم رفضوا وفاته، واعتقدوا بأنه حي وسيعود وهم إسلاف القرامطة، إما الفريق الثاني فهم الفاطميون الذين اعترفوا بوفاته وجعلوا الإمامة في ذريته[٤٠].

اذن العلاقة كانت قائمة في البداية بين الطرفين لكن بعد ذلك حدث ما فرق في العقيدة بين الإسماعيلية والقرامطة .من هنا يتوجب على الباحث بعد ذلك التاريخ التفريق بين العقيدة الفاطمية والعقيدة القرمطية .

٣- كتاب ابن رزام :

كان ابن رزام من بين الذين كتبوا عن المذاهب والنحل، وقد اشار المؤرخ المسعودي(ت٣٤٥ه-/٩٥٥م)[٤١]، له في جملة حديثه عن ظهور القرامطة وعقائدهم لكنه لم يذكر اسم كتابه الذي ذكرهم فيه، ولاحقاً عثر على نص ابن رزام في بطون بعض الكتب[٤٢]

---

(٣٩) م. ن، ص ٣٦ .

(٤٠) النوبختي، فرق الشيعة، ص٤٨٠ ؛ االصابي، ابن قرة ثابت بن سنان (ت ٣٦٥ه)، تاريخ اخبار القرامطة، تح : سهيل زكار، (د.م، د.ت)، ص٣٤٢ .

(٤١) ابو الحسن علي بن حسين بن علي (ت٣٤٦ه)، التنبيه والاشراف، تح: عبد الله إسماعيل الصادق، (القاهرة : دار الصاوي للتأليف والنشر، ١٩٣٨)، ص٣٤٣.

(٤٢) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٢ه)، نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق: محمد جابر عبد العال وعبد العزيز الاهوائي، (مصر: المؤسسة المصرية

ومنهم ابن النديم (ت٣٨٥هـ/ ٩٩٥م)[٤٣]، الذي ذكره وقال في نهايته : " انا برى من قوله " . المهم من ذلك بان ابن رزام تحدث عن القرامطة، ولكنه لم يذكر اسم الإسماعيلية أو الفاطميين في خضم كلامه عن القرامطة، لذلك نرى بان لانعمم قوله على الإسماعيلية، فكما هو واضح لدى الجميع بان الإسماعيلية أصابها الاختلاف والفرقة، وتشعبت منها عدة فرق لم تحتفظ بنفس مسار الإسماعيلية الذي ظهر في بداية أمرها. فقد انشقت الإسماعيلية سنة (٤٨٧هـ-/١٠٩٤م) في خلافة الإمام الفاطمي المستنصر بالله الى فرقتين الاولى نزارية وإمامها نزار الابن الأكبر للإمام المستنصر بالله، وهو صاحب الحق الشرعي وولي العهد في خلافة أبيه لمنصب الامامة وفق العقيدة الاسماعيلية وكان الداعي الحسن الصباح[٤٤] شاهدا على تولية الخليفة المستنصر لنزار وذلك عندما كان يدرس في الجامع الازهر في القاهرة، فقد أمن بإمامة نزار وعمل على نشر دعوته في بلاد فارس بعد رجوع الصباح لبلاده . أما الفرقة الأخرى فهي المستعلية وإمامها المستعلي بالله الابن الاصغر للخليفة المستنصر بالله وأصبح مقرها في مصر، أما النزارية فأصبح مقرها في بلاد فارس بقيادة الداعي الحسن الصباح الذي عمل على نشرها هناك [٤٥] وبعد اغتيال الإمام الفاطمي الأمر بإحكام الله سنة (٥٢٤هـ/١١٣٠م)، خالف إسماعيلية اليمن إمام الإسماعيلية في مصر فاتخذوا إماماً غيره وبذلك أصبحت هناك فرقة جديدة عرفت باسم (الإسماعيلية البهرة) وهي باقية لوقتنا الحاضر، أما إسماعيلية مصر فقد قضى عليهم صلاح الدين الأيوبي سنة (٥٦٧هـ-/١١٧١م) عندما أسقط الخلافة الفاطمية في مصر [٤٦].

للنشر، ج٢٥، ٢٦-٣٠؛ الدواردارى، ابو بكر بن عبد الله (ت ٧٣٥هـ)، كنز الدرر وجامع الغرر، الدرة المضيئة في إخبار الدولة الفاطمية، تحقيق: صلاح الدين المنجد ، (القاهرة: ١٩٩٦)، ص٦-١٠ .

[٤٣] ابن النديم، ابو الفرج بن محمد بن اسحاق (ت ٣٨٥هـ)، الفهرست، (بيروت، ١٩٧٨)، ص٢٦٤ .

[٤٤] الحسن الصباح: علي بن محمد بن جعفر الصباح الحميري، عمل على مؤازرة نزار، فكون في إيران الفرقة النزارية ، الخربوطلي، علي حسن، مصر العربية الإسلامية، السياسة والحضارة في مصر في العصر العربي الإسلامي منذ الفتح العربي إلى الفتح العثماني. (مصر: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٣)، ص١٦٨؛ غالب، تاريخ الدعوة، ص٢٦٢ .

[٤٥] المقريزي، اتعاض الحنفاء، ج٣، ص١٢-١٥ .

[٤٦] المقريزي، اتعاض الحنفاء، ج٣، ص٣٠٩ وما بعدها؛ ثامر، عارف، فروع الشجرة الإسماعيلية، مجلة المشرق، ١٩٥٧، ص٥٢٨ .

وفي القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) انقسمت الفرقة المستعلية البهرة إلى فرقتين، احدهما البهرة الداوودية نسبة للداعي شاه داود وهو الداعي السابع والعشرون من سلسلة دعاتهم، والثانية السليمانية نسبة الى الداعي سليمان بن حسن[٤٧] .

خلاصة قولنا السابق، تشعبت عدة فرق جديدة ظهرت من رحم الدعوة الإسماعيلية في مصر حيث مقر الخلافة الفاطمية لكنها لم تحافظ هذه الفرق على نفس مسار الدعوة الإسماعيلية قبل انقسامها .

إذن هل يجب ان يطبق قول ابن رزام على هذه الفرقة الجديدة التي ابتعدت عن مسار الدعوة الأصلية سواء كان من ناحية الزمن او المتغيرات التي حصلت فيها من حيث نظام الدعوة بكل جوانبه، فهناك فترة زمنية كبيرة بين تاريخ ظهور القرامطة الذي تحدث عنه ابن رزام وبين تاريخ تكون هذه الفرق .

٤- نظام الملك [٤٨] :

من المصادر الأخرى المعادية التي أعتمد عليها المستشرق لويس هو كتاب " سياسة نامه " للوزير السلجوقي نظام الملك أذ جعله مصدراً من المصادر التي ركز عليها في التعريف بشخصية ميمون وعبدالله بن ميمون القداح قائلا : " وتذكر سياسة نامه عن عبدالله بن ميمون القداح أنه كان بالأهواز وأنه أستعمل المبارك مولى محمد بن إسماعيل وأسسا الفرقة ونظما الدعوة، وقام عبدالله ببث الدعوة في قوهستان العراق، وأحتال بالسحر .... "[٤٩] .

نجد في نص نظام الملك أشارات واضحة هدفت الى تشويه الدعوة الإسماعيلية ،وهذا ليس بغريب على نظام الملك هذا فقد كان من أبرز الرجال الذين عادوا الدعوة الإسماعيلية لاسيما في بلاد المشرق الإسلامي، بعد أن أصبح وزيراً للسلاجقة وهم ألد أعداء الإسماعيليين في عهد الدولة الفاطمية في مصر، بعد ما أخذ الفاطميون ينشر هذه الدعوة في أرجاء العالم

---

(٤٧) لويس، برنارد، الدعوة الإسماعيلية الجديدة، ترجمة : سهيل زكار، (د.م، دار الفكر، ١٩٧١)، ص٥.

(٤٨) نظام الملك : الخواجة حسين (ت ٤٨٥ه)، ولد بمدينة طوس، وفيها درس العربية والفقه والحديث، عمل كاتباً عند طغرل بك السلجوقي حتى وفاته. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦ه)، كتاب التاريخ الكبير، (مكتبة العملاقة، ديار بكر، د.ت)، ج١، ص٤٦٥ ؛ الانصاري، ابن حبان (ت٣٦٩ه)، طبقات المحدثين للأصفهان والواردين عليها، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢ه)، ج١، ص٤١ .

(٤٩) برنارد، أصول، ص١٠٥ .

الإسلامي، مشكلين عامل خطر على السلاجقة، الذين ظهروا على مسرح الاحداث في المشرق ومن ثم في العراق لاسيما بعد سقوط البويهيين على يد السلاجقة عام ٤٤٧ه/ ١٠٥٥ م)

وإحكام سيطرتهم على مقاليد الخلافة العباسية ببغداد، أذن أصبح هناك مد شيعي جديد من جانب الفاطميين والبويهيين يقابله استيلاء الأتراك السلاجقة هم القوة الجديدة على بلاد فارس والعراق والجزيرة وشمال سوريا ليوقف هذا التشيع السياسي، لذلك كان السلاجقة يحاولون القضاء على مد النفوذ الفاطمي، فعملوا على تحريض حاكم أفريقيا الزيري[٥٠] الذي يدين بالولاء للفاطميين، كذلك سعوا لتحريض الامبراطور البيزنطي على الفاطميين حيث عقدوا معه معاهدة[٥١]، ولكن الضربة القاضية للسلاجقة كانت في تمكن طغرلبك السلجوقي من نجده الخليفة العباسي لإحباط دعوة الفاطميين في بغداد مقر الخلافة العباسية، وأعاد الدعوة العباسية بعد أن انقطعت أثنى عشر شهراً، فقد أستطاع الداعية الفاطمي مؤيد الدين الشيرازي من أقامة الخطبة للفاطميين وذلك سنة (٤٥٠ه- ١٠٥٨م) والاستيلاء على بغداد واصبحت تمت وصاية الخليفة الفاطمي المستنصر بالله وهو حلم طالما كان يراود الخلفاء الفاطميين منذ ظهور دعوتهم في المغرب سنة (٢٩٧ه- ٩٠٩م) [٥٢] .

لم يكتفي السلاجقة بذلك، بل لجئوا إلى وسيلة أخرى للقضاء على نفوذ الإسماعيلية المتمثل بالخلافة الفاطمية، إلا وهي استخدام المدارس في ذلك، وكان الوزير السلجوقي نظام الملك هو من تزعم هذه الحركة .

لقد عمل الخلفاء الفاطميين على نشر المذهب الإسماعيلي في مناطق واسعة من العالم الإسلامي، أينما كان لهم وجود سياسي رافقه نشاط حثيث لنشر مذهبهم، فقد عملوا على فتح المدارس ودور العلم، وأشهرها أنشاؤهم الجامع الأزهر في القاهرة سنة (٣٥٩ه) فضلا عن عقدهم مجالس الدعوة الإسماعيلية بواسطة دعاتهم لاسيما في المشرق الإسلامي، فقد استطاع الداعي الفاطمي مؤيد الدين الشيرازي (٤٧٠ه- ١٠٧٧م) من إدخال كبار رجال الدولة في

---

(٥٠) الزيري: إيلكين بن زيري الصنهاجي ولقبه (سيف الدول) زعيم قبيلة صنهاجة، وهي أكثر القبائل المغربية أخلاصاً وتأيداً للفاطميين، ولاه المعز لدين الفاطمي ، حكم المغرب نيابة عن عمه عند خروجه الى مصر. الصنهاجي، أبو عبد الله محمد ، (ت٦٢٦ه)، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح: جلول أحمد البدوي، (الجزائر: الموسوعة الوطنية الكتاب، د.ت)، ص٤٩.

(٥١) ابن ميسر، تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب (ت ٦٧٧ه)، إخبار مصر، أنتقاه المؤرخ المقريزي (ت ٨١٤ه)، تح : أيمن فؤاد السيد، (القاهرة : المعهد العلمي الفرنسي للاثار الشرقية، ١٩٩٨م)، ص ١٣.

(٥٢) المقريزي، الاتعاض، ج٢، ص١٩ .

دعوته مثل السلطان أبي كاليجار البويهي صاحب أمارة فارس والاحواز كذلك الأمير الساماني نصر بن نوح (ت٣١١هـ- ٩٤٢م)، وغيرهم من قادة الديالمة [٥٣].

لقد فهم نظام الملك ذلك الاسلوب الفاطمي في نشر الدعاية للمذهب ، فقرر محاربة الفاطميين بسلاح مماثل ألا وهو فتح المدارس وفق المذهب الشافعي وتخريج طلاب يعملون كموظفين في مختلف وظائف الدولة كالقضاء والخطابة وإمامة الجوامع إضافة الى مدرسين في مدارس تقام لهذا الغرض دون غيره من المذاهب الأخرى ليقف بوجه المد الشيعي الإسماعيلي في المشرق، فكانت المدرسة النظامية هي أول مدرسة أنشأها لتحقيق ذلك الهدف عام (٤٥٧هـ- ١٠٦٥م)،ففي كلامه مع الامير السلجوقي الب ارسلان مايفيد هذا المعنى إذ يقول : " جعلت لك من خراسان حيث ينصرونك ولا يخذلونك ... ويرمون ذلك بسهام لا تخطى وهم العلماء والزهاد فقد جعلتهم بالإحسان إليهم أعظم أعوانك ... " [٥٤]

أذن كان الدافع المذهبي والسياسي هو الأصل لمناهضة الفاطميين في مصر لاسيما بعد أن نهض الجامع الأزهر بدوره في استقطاب العلماء والطلاب من مختلف بقاع العالم الإسلامي وعلى مختلف المذاهب الإسلامية لذا لايستغرب موقف نظام الملك المعادي للمذهب الإسماعيلي والفاطميين، خصوصاً وأنه قضى حياته عند السلاجقة، فقد علت مكانته عندهم منذ أن أصبح وزيرا لهم عند إلب ارسلان سنة (٤٥١هـ/١٠٥٩م) وبقي يشغل هذا المنصب حتى وفاته سنة (٤٨٥هـ/١٠٩٣م) .

هذه المدة الطويلة التي خدم فيها الوزير نظام الملك السلاجقة تجعل منه مؤرخاً تابعاً للحكام السلاجقة، فهل يستطيع أن يتنزه في كتابه عند حديثه عن الإسماعيلية أو الفاطميين لذلك فمن الموضوعية العلمية ألابتعاد عن ما كتبه في " سياسة تامة "، أو على الأقل ألايجعلها المستشرق لويس وغيره مصدر من مصادره للتوصل إلى جذور الدعوة الإسماعيلية أو أصل الإمامة المستودعة أو غير ذلك من المحاور التي يحث فيها المستشرق لويس .

---

(٥٣) للمزيد من المعلومات عن هذه الشخصيات وكيفية اعتناقها الدعوة الإسماعيلية، يُنظر: نظام الملك، الخواجة حسين (ت٤٨٥هـ)، سياسة نامة، ترجمة: د. يوسف حسين، (بيروت: دار القدس، د.ت)، ص٢٤١ وما بعدها .

(٥٤) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٦ ؛ الأمين، محسن (ت١٣٧١هـ)، اعيان الشيعة، تح: حسن الأمين، (بيروت: دار التعارف، ١٩٨٣)، ج٥، ص١٦٦ .

٥- النصيرية(*) :

من المصادر الأخرى التي رجع لها المستشرق لويس وأشار لها في ضوء كلامه عن علاقة أبي الخطاب بالمذهب الإسماعيلي : " كتابات النصيرية، وفيها فقرات وعقائد شبيهة بتلك، وهي أيضا تعتبر أبا الخطاب مؤسس الفرقة وميمون القداح تابعاً له، وتعزو اليه الكثير من العقائد التي يختص بها المذهب الإسماعيلي"(٥٥).

لو ألقينا نظرة سريعة على هذه الجماعة، نرى بأن هؤلاء الذين يسمون " النصيرية "، هم من الغلاة الذين قالوا بإلوهية الإمام علي بن أبي طالب، وقالوا أنه النبي المرسل، ومنهم من قال أنه الشريك في النبوة والرسالة وإذا مريهم سحاب، قالوا السلام على أبا الحسن لأنهم يزعمون أن السحاب مسكنة، ويحبون أبن ملجم، لانهم يقولون: أنه خلص أللاهوت من الناسوت، ولما سمع الإمام علي بن أبي طالب بأمرهم، إستتابهم فلم يتوبوا عندها إعتبرهم فرقة مارقة ضد الدين الاسلامي ولخطورة أفكارهم أمر بتحريقهم فأحرقوا ومن عقائدهم الأخرى إنكار اليوم الأخر، وقد أستطاع نفر منهم الهرب فكونوا فرقة " النصيرية "، ومنهم إتباع أبي شهيب محمد بن نصير(٥٦).

من خلال هذه الأسطر القليلة يتضح لنا فكرهم وعقائدهم، وبعد هذا يحسن بنا التساؤل عن اعتماد المستشرق لويس على كتاباتهم لتوضيح ما يخص الإسماعيلية من محاور يناقشها، فالإسماعيلية لم يؤلهوا أحداً ، على العكس من ذلك، فقد تبرأ الإسماعيلية من أبي الخطاب، صحيح أنهم يعتبرون الإمام علي في المقام الأول والواجب إتباعه لأنه أولا وارث المكانة الدينية على الرسول (ﷺ) لذا يكون وارث العلم، وله القدرة على تفسير الأمور أكثر من باقي الناس، وثانياً تأكيدهم على ولاية عهد علي بن أبي طالب خليفة بعد الرسول (ﷺ)، لكنهم لم يألهؤا الامام علي أو من جاء من بعده من الائمة سواء كان إسماعيل او محمد بن إسماعيل .

النقطة المهمة في كلام المستشرق لويس، التي نود توضيحها هي كلامه عن علاقة الإسماعيلية بالخطابية، فعقيدة ابن الخطاب هي تأليه الأئمة من أولاد الإمام علي بن أبي طالب، فزعم اولاً ان الأئمة أنبياء، ثم جعلهم الهة يعرفون الغيب لنفسه، وزعم ان الإمام

(*) النصيري: هم إتباع أبي منصور العجلي الذي قال ان الإمامة دارت في أولاد الإمام علي بن ابي طالب، ثم ادعى بأن روح الإمام علي بن الحسين قد حلت به. للمزيد من المعلومات يُنتظر: البغدادي، ص١٨٦ .

(٥٥) م. ن، ص٧٦ .

(٥٦) السيوطي، النهاجي (ت القرن التاسع)، جواهر العقود، تحق: مسعد عبد الحميد وآخرون، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٦٦)، ج٢، ص٢٧١.

جعفر بن الصادق هو اله، غير ان ابي الخطاب أفضل منه وأفضل من علي بن ابي طالب بزعمه [٥٧] .

بوفاته تفرق إتباعه إلى فرق :

١. **المعمرية :** هم يعتقدون ان الإمام بعد أبي الخطاب هو رجل اسمع معمر، ومن ابرز عقائدهم تناسخ الأرواح [٥٨] .
٢. **البزيغية :** هم إتباع بزيغ الذي أله الإمام جعفر الصادق، ولم يكن الإمام جعفر ذلك الذي يراه الناس، بل هو الاله ومن ابرز عقائدهم، ادعائهم أنهم الحواريون ولهم الوحي جائز وان فيهم من هم فيهم من هو أفضل من جبرائيل وميكائيل ومحمد [٥٩].
٣. **العميرية :** إتباع عمير بن بيان العجمي، ومن عقائدهم أنهم لا يموتون، بل يعيشون في الارض أئمة وأنبياء، وعبدوا الإمام جعفر الصادق [٦٠].
٤. **المفضلية :** هم إتباع مفضل الصيرفي، قال بإلوهية الإمام جعفرالصادق دون نبوته، وتبرأ من أبي الخطاب لبراءة الإمام جعفرالصادق منهم[٦١].
٥. **الخطابية :** وهم الخطابية المطلقة، ثبتوا على إمامة أبي الخطاب وأنكروا إمامة من بعده[٦٢] .

إنَّ هذا العرض لجماعة ابي الخطاب وانشطارها إلى عدة فرق لاسيما بعد ان تم القضاء عليه من قبل والي الكوفة الامير العباسي عيسى بن موسى، سنة (١٤٣ه/ ٧٦٠م)، يوضح لنا عقيدته وعقيدة إتباعه هي تأليه الأئمة، وهذا ما لا نجده في الإسماعيلية، فالفكر الإسماعيلي قائم على إمامة إسماعيل بن الامام جعفر الصادق وولده محمد من بعد وفاته فضلاً عن تبرأ الإمام جعفر الصادق من أبي الخطاب وإتباعه، فلماذا اعتمد المستشرق لويس على مصادر هذه الفرقة في دراسته للأصول الإسماعيلية .

فكرة المهدي المنتظر :

---

(٥٧) البغدادي ،الفرق، ص٢٢٤ مابعدها .
(٥٨) الشهرستاني (٥٤٨ه)، الملل والنحل، (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، تح : محمد سيد، ج١، ص١٨٠ .
(٥٩) البغدادي، الفرق، ص٢٢٤ .
(٦٠) لويس، أصول ، ص٢٢٥ .
(٦١) البغدادي، الفرق، ص٢٢٥؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ج١، ص٨١؛ الشاكري، حسين، نشوء المذاهب والفرق الإسلامية، (إيران : مطبعة استاوة، ١٤١٨ه)، ص٩٢ .
(٦٢) البغدادي، الفرق، ص٢٢٥.

لقد تطرق المستشرق لويس برنارد في كتابه " أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية، عن ظهور فكرة المهدي قائلا : " ظهور فكرة المهدي أحدى العلامات الفارقة لتغير التشيع العربي الى تشيع الموالي، ذلك لان الإمام الشيعي، بعد أن كان ممثلا سياسيا للدولة، أصبح شخصية غامضة ذات أهمية دينية كبرى، كان في أول الأمر مسيحي ألهً مجسداً ...." [٦٣] .

هنا يؤمن المستشرق لويس بأنها أحدى العلامات البارزة لتغير أصل التشيع، تراه يحاول هنا ربط أصل التشيع بأصول فارسية وليست أصول عربية، وهذه هي طبعا فكرة المستشرقين عامة، إلا وهي محاولة ربط التشيع بالفرس .

ثم يحاول المستشرق لويس، أن يجد في آراء بعض المستشرقين الذين ذهبوا إلى ما ذهب إليه المستشرق لويس كون فكرة المهدي هي فكرة فارسية وليست عربية، فيذكر لنا عبارات مقتبسة من بعض المستشرقين الذين كتبوا عن هذا الموضوع أمثال: فريد مستتر[٦٤]، وجويدي[٦٥]، ثم يذكر بعد ذلك قول المستشرق ماسينيون[٦٦] الذي أرجع فكرة المهدي إلى الإسلام [٦٧].

---

(٦٣) لويس، أصول، ص٦٠.

(٦٤) فريد مستتر: مستشرق فرنسي، له مؤلفات عديدة أبرزها كتاب " المهدي " . الطهراني، أقا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، (بيروت : دار الأضواء، د. ت)، ج ٧، ص ٣٤٠.

(٦٥) جويدي أغناطيوس: مستشرق ايطالي، عالم بالغة الحبشية والسريانية ،له مؤلفات مختلفة في الادب والجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب.الزركلي، خير الدين زكريا بن محمد (ت١٤١٠ه) ،الإعلام، (بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٨٠م) ،ج ١، ص ١٢؛ سركيس، اليان، معجم المطبوعات العربية، (د. م، د. ت)، ج١، ص ٧٢٥.

(٦٦) ماسينيون لويس : من كبار المستشرقين الفرنسيين، صاحب مجلة العلوم الاسلامية باللغة الفرنسية في باريس، له مؤلفات عديدة أبرزها كتاب "أخبار الحلاج ". كحالة، عمر معجم المؤلفين، (بيروت : مكتبة المثنى، د.ت)، ج ٤، ص٦٤ ؛ اليان، ج ٢، ص ١٦٠٩.

(٦٧) لويس، أصول، ص٦٠.

ونرى في صفحة أخرى من كتابه، يستعرض أراء المستشرقين الذين تناولوا هذا الموضوع أمثال : فلهاوزن[٦٨] وكايتاني٨ وغيرهم ، ثم يذكر بأن كلمة المهدي قد أطلقت على علي والحسن والحسين على أنهما من ألقاب التعظيم.

ثم يتطرق بعد ذلك الى قصة المختار، لكي يصل إلى حقيقة فكرة الإمام المهدي بنظره، قائلاً: "ومن هنا ظهرت لأول مرة عقيدة الغيبة والرجعة المهديتين [٦٩].

بالرغم من كل الآراء التي عرضها المستشرق لويس عن فكرة الإمام المهدي، والتي أكد بعضها عروبة فكرة الإمام المهدي تراه يربطها بفكرة ظهور المسيح، وذلك يعني محاولته إرجاع هذه الفكرة الدينية المسيحية .ان فكرة المهدوية قديمة جدا تعود لعصور ما قبل الميلاد وظهرت في الاديان الوضعية والسماوية ومنها الدين الاسلامي الحنيف واستمرت بالظهور بالفرق المذهبية المختلفة التي عرفت بالمجتمع العربي الاسلامي لذا فان محاولة لويس ربط فكرة المهدوية بالمسيحية غير دقيق .

نتائج البحث :

لقد توصلنا في نهاية بحثنا الى نقاط عدة منها :

- محاولة برنارد لويس الخلط بين اصول الفاطمية والإسماعيلية والخطابية أو المنصورية وغيرها من الفرق الغالية التي ظهرت في العالم الإسلامي آنذاك .
- طرحه بعض الحقائق والآراء من دون التحقق منها أو أثبات الدلائل على صحتها .
- أعتماد المستشرق لويس في دراسته هذه على مصادر معادية للفاطمية والاسماعيلية على حد سواء والتي لاينبغي الرجوع لها في ذلك .
- كان لويس في كتابه كغيره من المستشرقين الذين خلطوا بين الأصول العربية والأصول المسيحية الغربية للكثير من الحقائق والآراء الإسلامية محاولة لأرجاع أصولها للغرب .

---

(٦٨) فلهاوزن يوليوس: مستشرق الماني له مؤلفات عديدة أبرزها " الخوارج الشيعة " . مهران، محمد بيومي، الامامة وأهل البيت، (مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ١٩٩٥)، ج ١، ص ٤٦٠.

(٦٩) م.ن، ص٦١-٦٢.

- وقوعه في أخطاء عدة في طرحه للعلاقة بين الاسماعيلية والفاطمية والقرامطة، وذلك لاعتماده على حقائق طرحها غيره من المستشرقين من دون ان يحاول بنفسه التحقق من تلك المصادر أو امتلاكها على الأقل .

الملخص

كتاب المستشرق برنارد لويس " أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية " هو موضوع أطروحته للدكتوراه، الذي تناول فيه دراسة الإمامة الإسماعيلية( ) وكل ما يتعلق بها. مركزاً على التداخل الاسماعيلية والفاطمية والقرمطية. وسوف نركز على بحثنا على بعض النقاط المهمة التي تطرق لها المستشرق بكتابه.

برنارد لويس أستاذ فخري بريطاني أمريكي لدراسات الشرق الأوسط في جامعة برينستون، متخصص في تاريخ الإسلام، ولد من أسرة يهودية من طبقة وسطى في لندن ، درس اللغة الآرامية والعبرية والعربية ولغات أخرى حصل على الدكتوراه عام ١٩٣٦م ثم درس بجامعة باريس قسم الدراسات العليا وحصل على دبلوم في الدراسات السامية سنة ١٩٣٧م ، اتسمت آراءه تجاه العرب بالسلبية وعزى تأخرهم عن أوروبا لأسباب ثقافية ودينية .